



خرج رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، إلى روسيا، في الأسبوع الحالي، للجتماع مع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين. ليست المرة الأولى التي يلتقيان فيها، لكنهما اعتنوا على عقد الاجتماعات، وفي روسيا تحديداً، قبل أي حدث مفصلي. في 21 سبتمبر /أيلول 2015، عقد الثنائي لقاءً في موسكو، كشف فيه بوتين عن التدخل الروسي العسكري في سوريا، الذي عاد وحصل في 30 سبتمبر /أيلول من العام عينه.

سلم نتنياهو لبوتين لائحة بأكثر من 1150 هدفاً "يجب ضربها في سوريا"، أكثرتها عائد لـ"جبهة فتح الشام" (جبهة النصرة سابقاً). أراد الإيحاء بأن ما يعرفه عن الأرض السورية أكثر بكثير مما يعرفه الكرملين.

وبعد نحو عامين من التدخل العسكري المباشر، بدأت روسيا صياغة حلول مرحلية في سوريا، عبر اتفاقيات "خفض التصعيد". حلول توجد فيها إيران وحلفاؤها عناصر أساسية، خصوصاً في الجنوب السوري. هناك، وعلى الحدود بين سوريا والأردن من جهة، وبين سوريا والأراضي الفلسطينية المحتلة من جهة أخرى، تبدو المسألة أقرب إلى تكرار نموذج لبنان في ثمانينات القرن الماضي.

أبدى نتنياهو خشيه من الوجود الإيراني، واستطراداً حزب الله، في سوريا. قدم لبوتين عرضاً عن "الخطر الإيراني وتأثيره على إسرائيل". كان رئيس الموساد، يوسي كوهين، أساسياً في تقييم الوضع الميداني الإيراني في سوريا. "تفهمت" روسيا "المخاوف" الإسرائيلية. ربما كان يكفي لبوتين الابتسام قليلاً، لمنع الضوء الأخضر لنتنياهو، بغية شن هجماتٍ في سوريا، وإبعاد إيران وحزب الله عن المناطق المتاخمة لفلسطين المحتلة.

لن يقوم نتنياهو بأي هجوم ضد حزب الله، ولا ضد إيران، في سوريا. كان واضحاً في ذلك، عبر توجيهه رسالة غير مباشرة لبوتين: "إيران تحاول إجراء عملية لبنينة لسوريا، والسيطرة عليها بواسطة مليشيات شيعية مثلما فعلت مع حزب الله في

لبنان"، مضيفاً أن "إسرائيل ستعمل حيث يجب، وبموجب خطوطها الحمراء التي تضعها، وعندما فعلت ذلك في السابق لم تطلب إذناً من أحد".

أمران تجدر ملاحظتهما هنا: الأول أن نتنياهو استخدم مصطلحاتٍ مشابهة لما استخدمه مناحيم بیغن في أثناء الانسحاب الإسرائيلي من صيدا اللبنانية عام 1985، بما يتعلّق بـ"المليشيات الشيعية"، في إشارة إلى مرحلة طويلة من النزاع المستقبلي، في حال استمرّ وجود إيران وحلفائها على مقرّبةٍ من الحدود الفلسطينية المحتلة مع سوريا. **الثاني** استعمال نتنياهو مصطلح "البننة السورية". والمعروف أن "البننة"، في سياق مفهوم الدولة، هي الطريق الأفضل لتهذيم بنيان الدولة. وـ"البننة" التي أفرزتها الحرب اللبنانية نسيج اجتماعي مفكّك، وأرض مشتتة، وأحزاب وميليشيات صنعت "الدولة العميقة" داخل الدولة الأساسية. تؤدي هذه "البننة" إلى كل أنواع التقسيم المجتمعي والديمغرافي والفكري، لكنها لا تؤدي إلى رسم حدود جغرافية، لتكريس هذا الانقسام، بل تترك الأمور في سياق مراوحةٍ قاتلة، وتبادل أدوار طوائفية داخل بنيان الدولة الأساسي، الهش.

يعلم نتنياهو أن "الطبيعة" الروسية، المتأتية من طبيعة سوفياتية، ترفض تقاسم أي أرض مع حلفاء مشتركين. سوريا ليست برلين، ليتم تقاسمها مع دول أخرى. سوريا "نظامٌ استدعي حليفاً من الأقاصي البعيدة لنجدته". ولا يمكن أن يسمح هذا الحليف بمشاركة ندية من أي طرفٍ إقليمي ودولي في سوريا، باستثناء الأميركيين، لاعتباراتٍ تتجاوز الشرق الأوسط، إلى أوكرانيا والوسط الآسيوي وبحر الصين الجنوبي، وصولاً إلى كوريا الشمالية. بالنسبة للروس، الإيرانيون وحلفاؤهم "فريق ثانٍ" في سوريا، لا "فريق أول". لا يعني هذا أن الصدام حاصل بين موسكو وطهران، لكنه فراغٌ كافٍ لصياغة "البننة" السورية، في مرحلة ما قبل "طائفٍ سوري" يفسح المجال لتقسيم سوريا إلى دوبيلات أو لحصول صداماتٍ تسبق قيام "دولة عميقة" جديدة، وهو ما يفيد الإسرائيلي. مع العلم أنه حين يتحدث عن نيته القيام بهجمات فإنه يعني أنه لن يقوم بها.

العربي الجديد

المصادر: